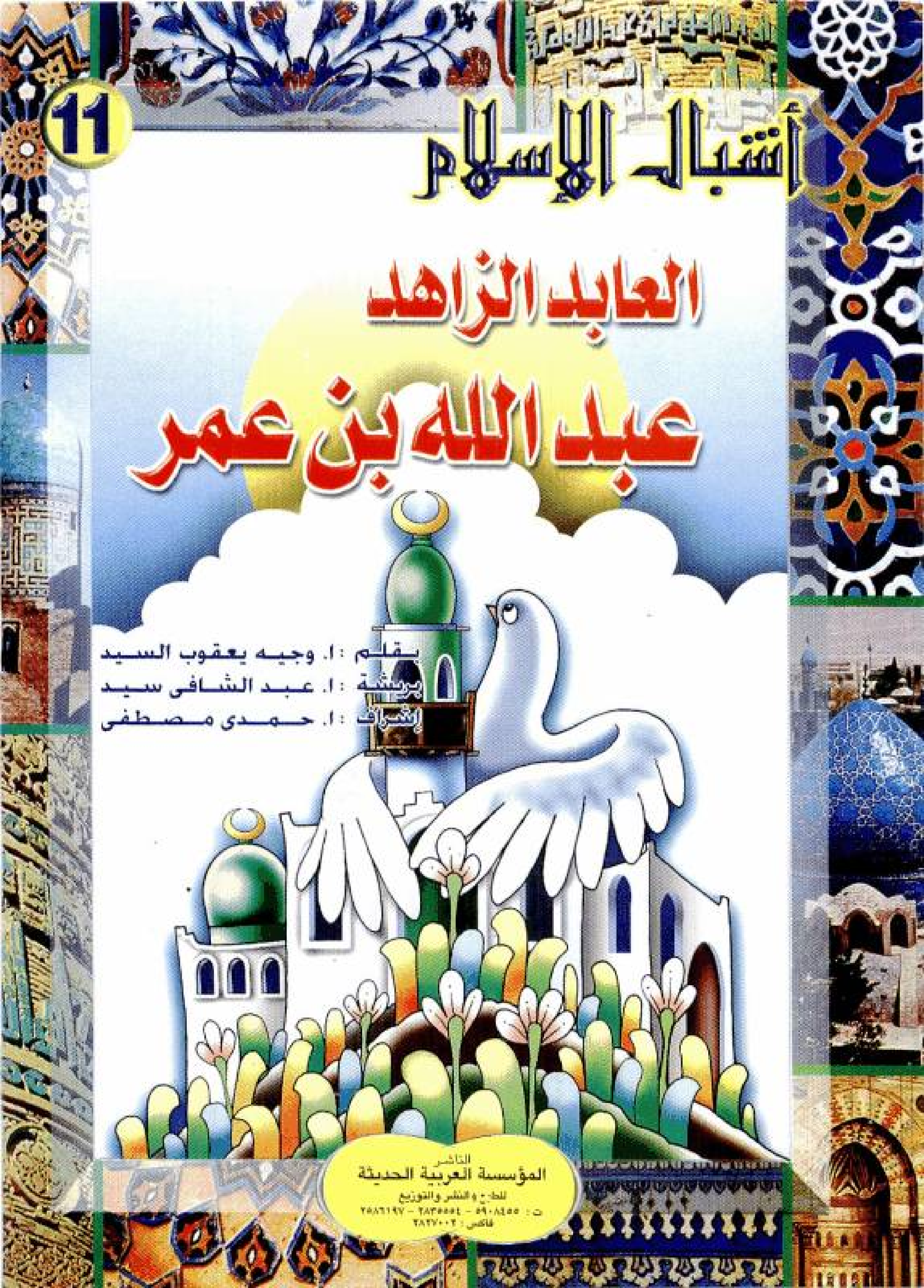

11
أشبال الإسلام
العابد الزاهد
عبد الله بن عمر
بقلم : ا. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافى سيد
إشراف : ا. حمدي مصطفى
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٨٥٦١٩٧
فاكس : ٢٨٢٧٠٠٢



أشبال الإسلام

«الطفولة» مرحلة مهمة للغاية . وهى ليست مجرد مرحلة للهو واللعب وتضييع الوقت فيما لا يفيد ، ولكنها مرحلة إعداد جادة لما سيكون عليه الإنسان فى شبابه وفى رجولته .

وفى هذه السلسلة تطالع :

صوراً مختلفة للنبوغ والتفوق والبطولة الخارقة والرجولة المبكرة عند «أبطال صغار» ، صنعوا المعجزات برغم حداثة أعمارهم ، فكان من بينهم : العالم ، والمحارب الشجاع ، وقائد الجيش .

إن «الطفل الصغير» يستطيع أن يعرف دوره في الحياة ، من خلال مطالعته لهذه النماذج المشرقة ، ويستطيع أن يقدم الكثير من الأعمال النافعة لنفسه ولأسرته ولوطنه .

وسوف يجد الطفل المتعة فى أثناء قراءة هذه السلسلة التى كُتبت بأسلوب قصصى مشوق ولغة أدبية شفافة .

وجيه يعقوب السيد

مدرس مساعد بكلية الألسن

جامعة عين شمس

العابد الزاهد

عبد الله بن عمر

بقلم : أ. وجيه يعقوب السيد

بريشة : أ. عبد الشافى سيد

إشراف : أ. حمدى مصطفى

الناشر

المؤسسة العربية الحديثة

للطبع والنشر والتوزيع

ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧

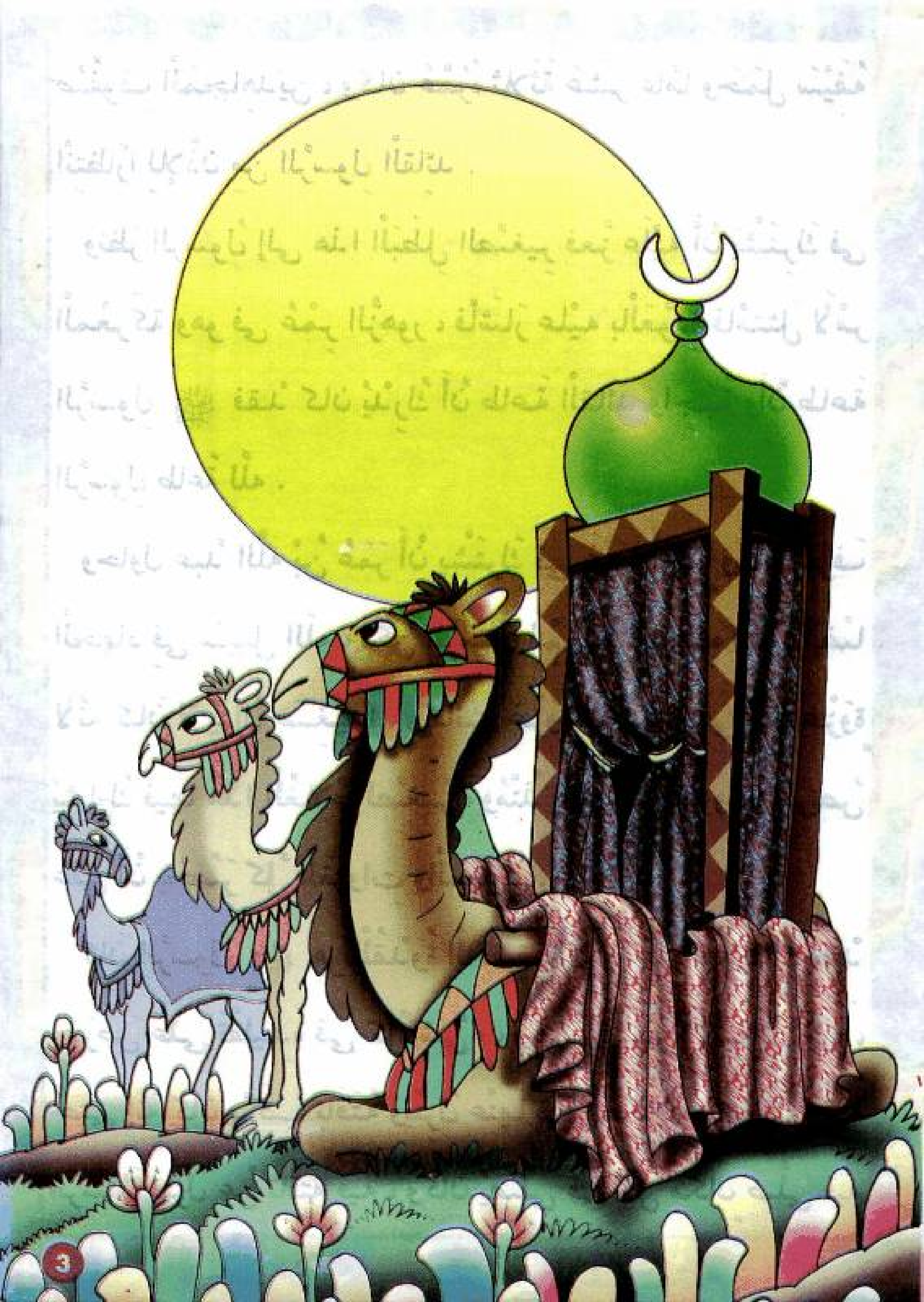
فاكس : ٢٨٤٧٠٠٢

عِنْدما هاجَر الرسولُ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إلى الْمدِينَةِ ، كان عُمْرُ عَبدِ اللَّهِ ابنِ عُمرَ عَشْرَ سَنَواتٍ ، لكنَّ الذى يراهُ كانَ يَعُدُّهُ مِنَ الرِّجالِ الْبالغينَ الأشِدَّاءِ الذين يُقَدِّرونَ الْمسئُوليَّةَ حقَّ قَدْرِها .

وعلى الرَّغْمِ مِنْ صِغَرِ سِنِّه وضَعْفِ بُنْيانِه فى ذلكَ الْوقْتِ فقدْ هاجَرَ مع أَبيه عُمَرَ بنِ الخطَّابِ مُتحمِّلاً مشَاقَّ الرِّحْلةِ وآلامِها فى رُجُولةٍ وشجاعَةٍ . بلْ إنَّ اللَّحْظَةَ الْحاسمَةَ التى اخْتارَ فيها أَنْ يُصْبِحَ مُسْلمًا تَدُلُّ على رَجَاحةِ عقْلٍ وذكاءٍ شَديدٍ ، فقدْ عُرِضَ عليْهِ الإسْلامُ وراحَ يسْأَلُ عن كلِّ كبيرةٍ وصَغيرةٍ حتَّى اطْمأَنَّ قَلْبُهُ وعَلِمَ أَنَّ الإِسلامَ هو دِينُ الْحَقِّ فاخْتارهُ طائِعًا وهو مازالَ طفلاً صَغيرًا .

ومازال الإسْلامُ ينْمُو فى هذا الْقَلْبِ الصَّغير شيْئًا فشيْئًا حتى صارَ شجَرَةً يانِعَةً مُمْتَدَّةَ الظِّلالِ .

فى أَوَّلِ معْركَةٍ ومُواجَهَةٍ بَيْنَ الْمسْلمينَ والْكُفَّارِ فى غَزْوَةِ بَدْرٍ ، أَدْركَ عبدُ اللَّه أَنَّ الإيمانَ ليْسَ بالتَّمَنِّى ولا بالْكلام ولكِنَّه بالْعمَلِ الشَّاقِّ والْجهادِ الْمُضْنِى ، ولذلكَ فقدْ سارعَ بالانْضمامِ إلى



صُفُوفِ الْمُجاهِدينَ ، وكان عُمْرُهُ ثلاثَةَ عَشر عامًا وحَمل سَيْفَهُ انْتِظارًا لِلإذْن مِنَ الرَّسولِ الْقَائِد .

ونظرَ الرسولُ إلى هذا الْبَطَلِ الصَّغيرِ فعزَّ علَيْه أَنْ يَشْتَرِكَ فى الْمعْركَة وهو فى عُمْرِ الزُّهور ، فأشارَ عليْه بالْعَوْدةِ فامْتَثَلَ لأَمْر الرَّسولِ ﷺ فقدْ كان يُدْرِكُ أَنَّ طاعةَ الْقائِد واجِبَةٌ وأَنَّ طاعةَ الرَّسُولِ طاعةٌ لِلَّه .

وحاولَ عبدُ اللَّه بْنُ عُمَرَ أَنْ يشْتَرِكَ فى غَزْوَةِ أُحُد وينَالَ شرَفَ الْجهاد فِى سَبيلِ اللَّهِ ، لكنَّ الرَّسولَ لمْ يأْذَنْ له هذهِ الْمرَّةَ أيْضًا لأنَّه كانَ لا يَزالُ صَغِيرًا ، وكانتْ غزْوَةُ الْخَنْدَقِ هى أَوَّل غَزْوَة يُشَارِكُ فيها هذا الْغُلامُ الصَّغيرُ ، ومُنْذُ ذلكَ الْوَقْت وهو حَرِيصٌ على أَنْ يحْضُرَ كلَّ الْغزَواتِ والْمعارِك .

كانَ الرَّسولُ ﷺ هو الْقُدْوَةُ الْحقيقيَّةُ لابْنِ عُمَرَ ، ولذلكَ فقدْ حَرَصَ على تَقْليدِهِ فى كلِّ شىْءٍ ، وكان كثيرَ الاتِّباعِ لآثارِهِ ، حتى إنَّهُ كان يرْكَبُ ناقَتَهُ وينْزِلُ عنْها فى الْمكانِ الذى رأى فيه الرَّسولَ ينزِلُ عنْ ناقَته فيه ، وكان يُصَلِّى فى كلِّ مكانٍ صلَّى فيه

الرَّسُولُ لكى يحصُلَ على الْبَركةِ والثَّواب . . ومِمَّا يُدلُّ على شِدَّةِ حِرْصِه على اتِّباعِ النَّبِىِّ أنهُ رأَى النبىَّ يُصلِّى تحْتَ شجَرةٍ فكانَ يتعَهَّدُها بالْماءِ ويسْقِيها من وقْتٍ لآخَرَ حتى لا تَذْبُلَ وتَيْبَسَ وَرَقُها .



نشأَ ابنُ عُمرَ نشْأَةً فيها اسْتِقامةٌ وطُهرٌ فلَمْ يعْرِفْ الانْحِرافَ أَوِ الزَّيغَ أَبدًا ، فقد قال عَنْهُ عبدُ الله بن مَسْعود :

ـ إِنَّ أَمْلَكَ شبابِ قُرَيْشٍ لِنَفْسِه عَنِ الدُّنْيا عبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَر .

وبِسَبَبِ تمسُّكِه الشَّديدِ بالْمَبادِئِ والْقِيَمِ قال عَنْهُ أَصْحابُه :

ـ ما مِنَّا مِنْ أَحَدٍ أَدْرَكَ الدُّنْيا إِلا مالَتْ بهِ ومالَ بها غيْرَ عبْدِ اللَّه بنِ عُمَرَ .

فهوَ طِرَازٌ فَرِيدٌ قلَّ أَنْ يتكرَّرَ ، ونَمُوذَجٌ يجبُ أنْ يُحْتَذَى .

كانَ ابْنُ عُمرَ تقيًا يخْشَى اللَّهَ في كلِّ أُمُورِه ، ولَم يكنْ يُحِبُّ أَحدًا كما يُحبُّ الأَتْقِياءَ الأَسْوِياءَ الَّذينَ يخْشَوْنَ ربَّهُمْ بالْغَيْبِ .

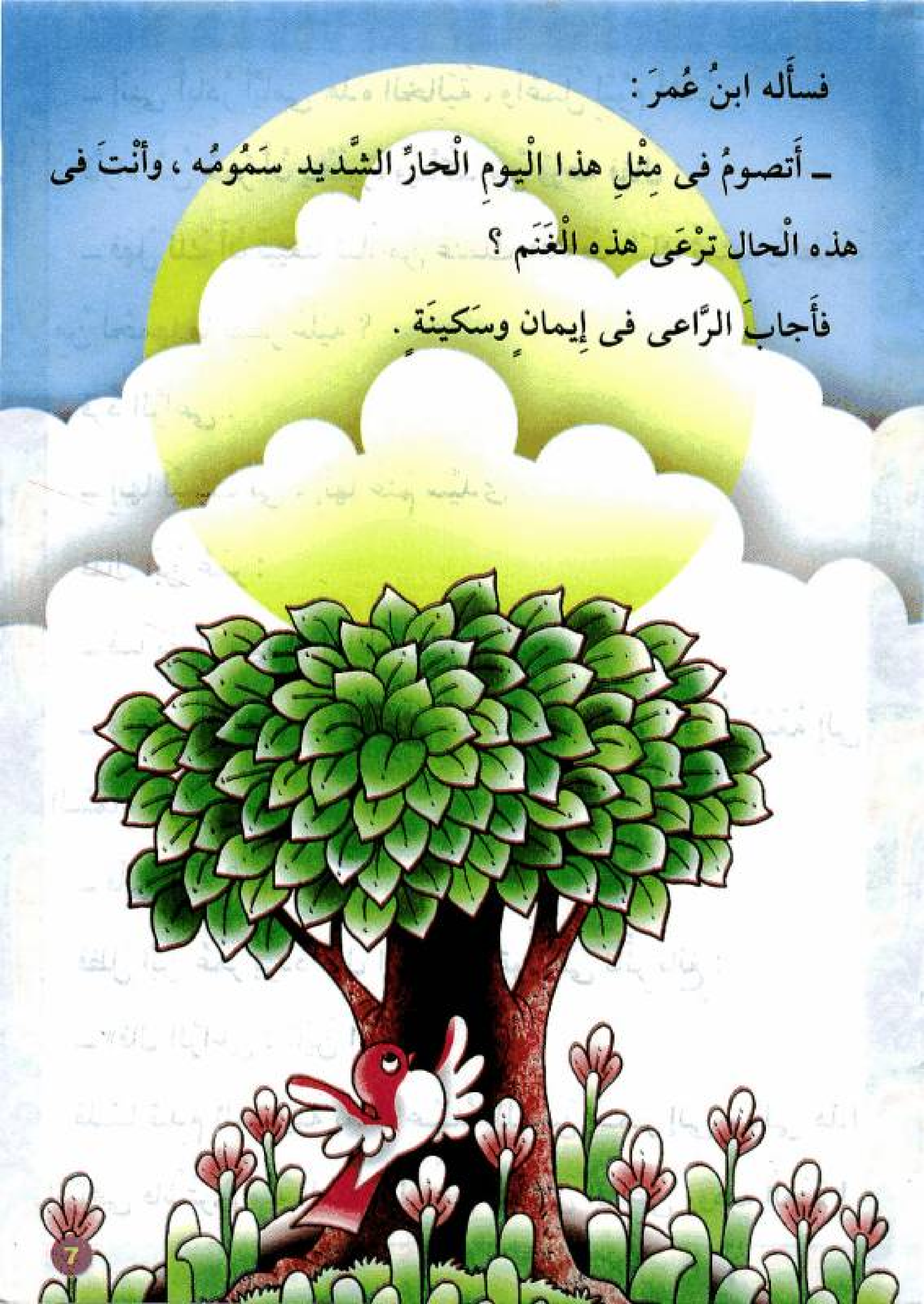
فقدْ خرجَ إِلى ناحِيَةٍ مِنْ نواحِى الْمدينَةِ ومعَهُ بعْضُ أَصْحابِه ووضَعُوا السُّفْرَةَ لهُ ، فمرَّ بهِمْ راعِى غَنَمٍ ، فأَلْقى عليهِم السَّلامَ .

فقال ابْنُ عُمَرَ :

ـ هَلُمَّ يا رَاعى ، فأَصِبْ منْ هذه السُّفْرَةِ .

فقالَ الرَّاعى :

ـ إِنى صائِمٌ .



فسأله ابنُ عُمرَ :

ـ أَتصومُ فى مِثْلِ هذا الْيومِ الْحارِّ الشَّديد سَمُومُه ، وأنْتَ فى هذه الْحال ترْعَى هذه الْغَنَم ؟

فأَجابَ الرَّاعى فى إِيمانٍ وسَكينَة .

ـ إِنَّنى أُبادِرُ أَيَّامى هذه الْخالِيَةَ ، وأَعْمَلُ لِيَوْمٍ أَشَدَّ .

فأرادَ ابْنُ عُمرَ أَنْ يخْتَبِرَهُ ويتأكَّدَ منْ وَرَعِه فقالَ :

ـ فهَلْ لكَ أَنْ تَبيعَنا شاةً مِنْ غَنَمِكَ هذه فَنُعْطِيَكَ ثَمنَها ونُعْطِيَكَ مِنْ لَحْمِها ما تُفْطِرُ عَلَيْه ؟

فردَّ الرَّاعى :

ـ إنَّها لَيْسَتْ لى ، إِنَّها غَنمُ سَيِّدى .

فقال ابْنُ عُمَر :

ـ فما يفعَلُ سَيِّدُكَ إِذا فَقَدَها ؟

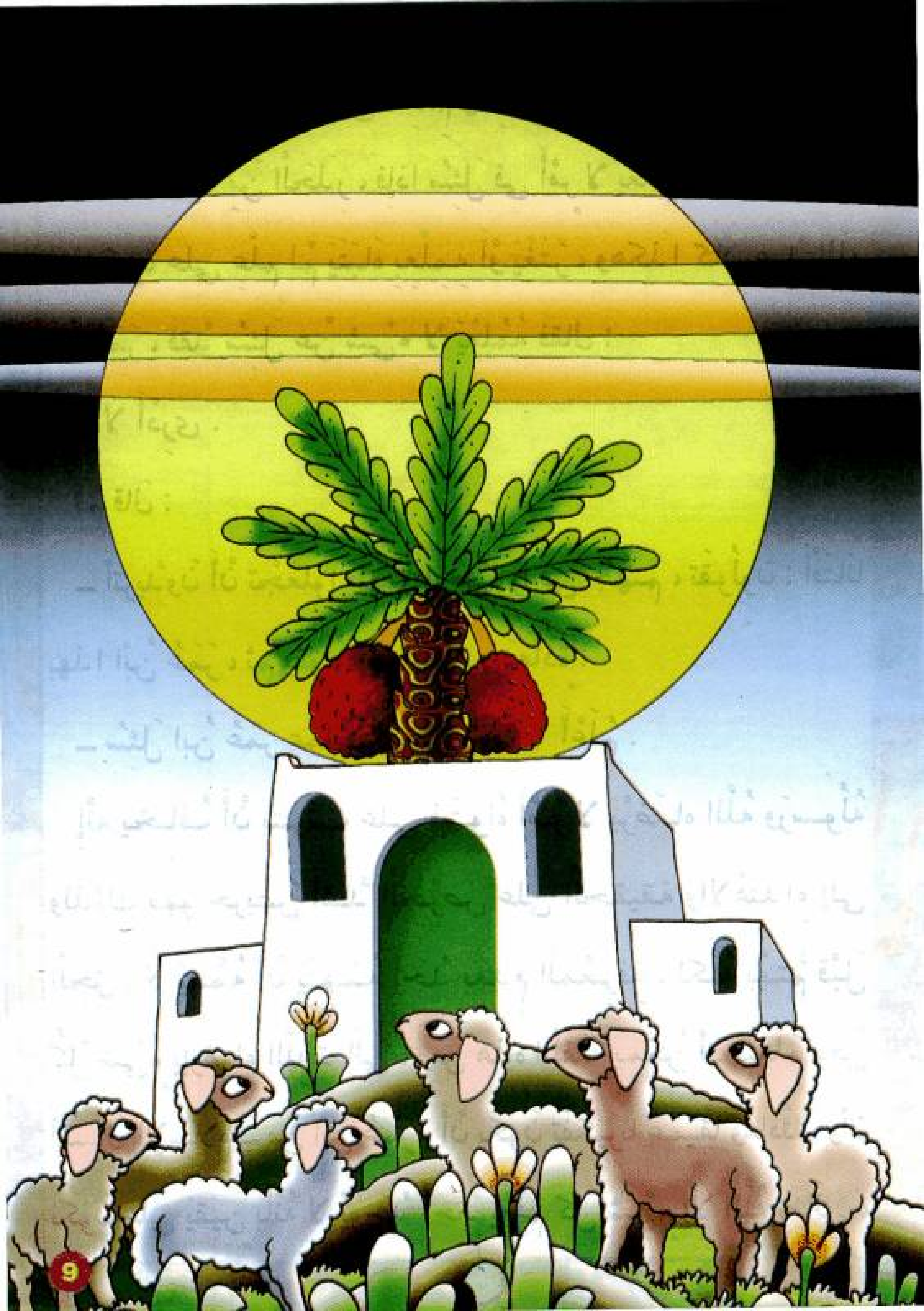
ـ فابْتَعَدَ الرَّاعى عنْهُ وأَنْهَى حديثَهُ معهُ ، وهو رافِعٌ أُصْبُعَهُ إِلى السَّماءِ ، وهو يقولُ :

ـ فأَيْنَ اللَّهُ ؟

فظلَّ ابْنُ عُمَر يردِّدُ قَوْلَ الرَّاعى ويقولُ فى تَأَثُّرٍ بالغٍ :

ـ «قالَ الرَّاعى : فأَيْنَ اللَّهُ ؟»

فلمَّا قدِمَ الْمدينةَ بعَثَ عبْدُ اللَّهِ بنُ عُمَر إلى مَوْلَى هذا الرَّاعى فاشْتَرَى مِنْهُ الْغَنَمَ والرَّاعِيَ ، فأَعْتَقَ الرَّاعِيَ ووَهَبَهُ الْغَنَمَ !



كُلَّما ارْتَقَى الإنْسانُ فى الْعِلْمِ والْفِقْهِ كلَّما كانَ تَفْكيرُهُ عَميقًا هادِئًا فيه شَىْءٌ مِنَ الْحَذَرِ، فإِذا سُئِلَ فى أَمْرٍ لا يَعْلَمُهُ قال: لا أَعْلَمُ، وإذا كانَ على عِلْمٍ لَمْ يَتَباهَ بِعِلْمِهِ أَوْ يَغْتَرَّ، وهكذا كان عبدُ اللَّهِ بنُ عُمَرَ، فقدْ سُئِلَ عنْ شىْءٍ لا يَعْلمُهُ فقال:

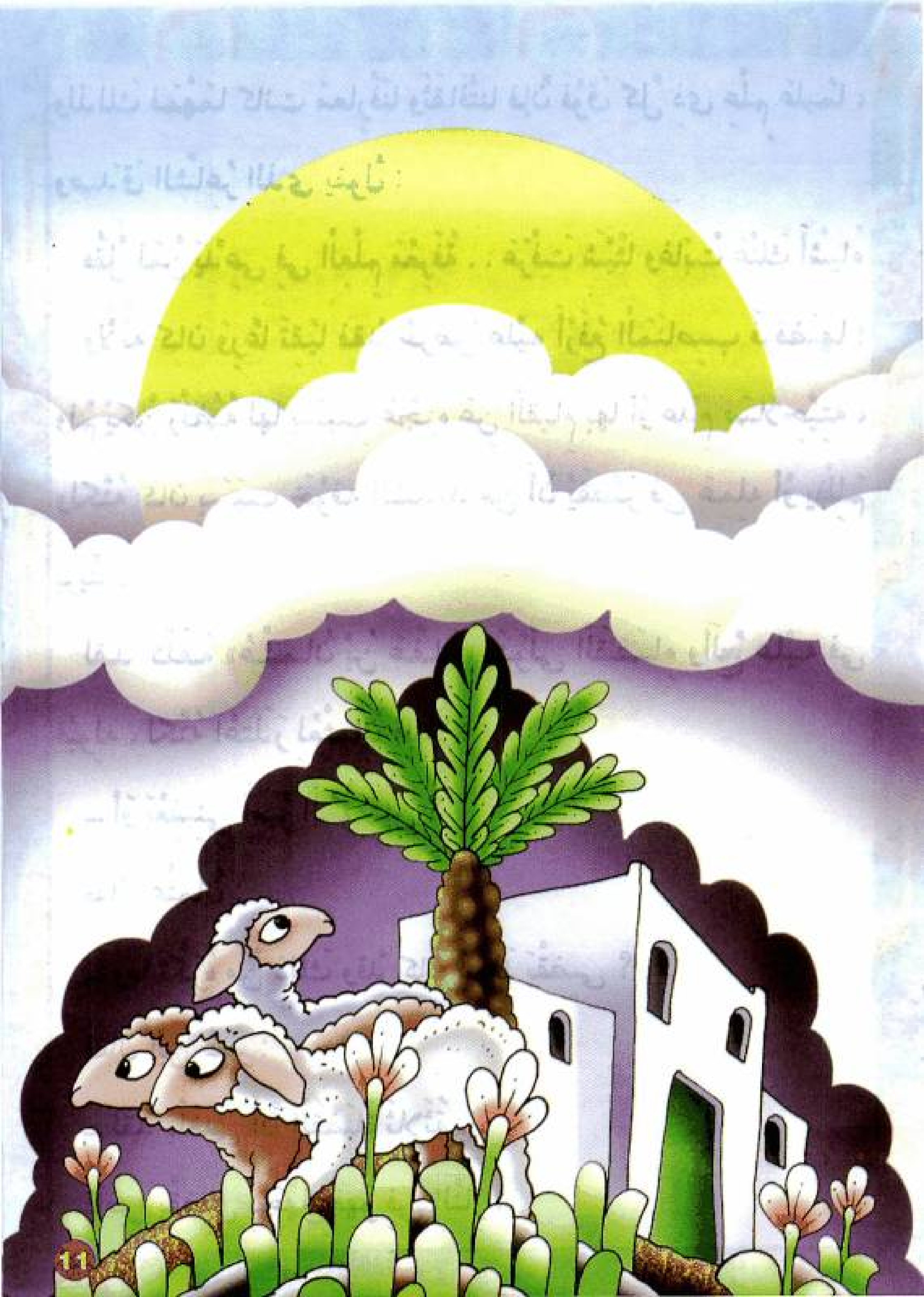
ـ لا أَدْرِى.

ثم قالَ:

ـ أَتريدُونَ أَنْ تجْعَلوا ظُهُورَنا جُسُورًا فى جَهَنَّمَ، تقَولُونَ: أَفْتَانَا بهذا ابْنُ عُمَرَ، ثم يقولُ فى غِبْطَةٍ وسَعادَةٍ:

ـ سُئِلَ ابنُ عُمَرَ عمَّا لا يَعْلَمُ، فقالَ لا أَعْلَمُ.

إِنَّه يخافُ أَنْ يترتَّبَ على فَتْواهُ أَمْرٌ لا يَرْضَاه اللَّهُ ورَسولُهُ ولذلك فهو حَريصٌ أَشَدَّ الْحِرْصِ على الْحقيقةِ والاهْتِداءِ إلى الْحَقِّ، لا يُهِمُّهُ أَنْ يَتَّهِمَهُ أَحَدٌ بِعَدَمِ الْمَعْرِفَةِ، لكنَّهُ يهْتَمُّ قبْلَ كُلِّ شىْءٍ بِإرضاءِ اللَّهِ تعالَى، ومِنْ هذه اللَّفْتَةِ يمكنُ أَنْ نتَعَلَّمَ نحنُ أَشْبالَ الإسْلامِ ـ منَ ابْنِ عُمَرَ، أَنْ يكونَ تفْكِيرُنا عَميقًا وهادئًا، وأَنْ نكُونَ على يَقينٍ بأَنَّهُ لا يُوجَدُ أَحدٌ يعْلَمُ كلَّ شَىْءٍ إلا اللَّهُ تعالَى،



ولذلكَ فمَهْمَا كانت مَعارِفُنَا وثَقَافَتُنا فإنَّ فَوْقَ كلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمًا ، وصدَقَ الشَّاعِرُ الذى يقولُ :

فقُلْ لِمَنْ يَدَّعِى فِى الْعِلْمِ مَعْرِفَةً . . عَرَفْتَ شَيْئًا وغابَتْ عَنْكَ أَشْياءُ

ولأنَّه كان وَرِعًا تَقِيًا فقدْ عُرِضَ عليْهِ أَرْفَعُ الْمَنَاصِب فَرفضَها ؛ ولمْ يَكُنْ رَفْضُهُ لها بِسَبَبِ عَجْزِهِ عَنِ الْقِيامِ بها أوْ عدَمِ صَلاحِيَّتِه ، ولكنَّهُ كان بسَبَبِ خَوْفِه الشَّدِيدِ مِن أَنْ يُقَصِّرَ فى عَمَلِه أوْ يظْلِمَ بريئًا .

لقدْ كلَّفَهُ «عُثْمانُ بْنُ عَفَّانَ» بتَوَلِّى الْقَضَاءِ وأَلَحَّ عليْه فى قبُولِه ، لكنَّهُ اعْتذَرَ لِعُثْمانَ قائلاً :

ـ أوَ يَعْفِينِى أَميرُ الْمُؤْمِنِينَ ؟

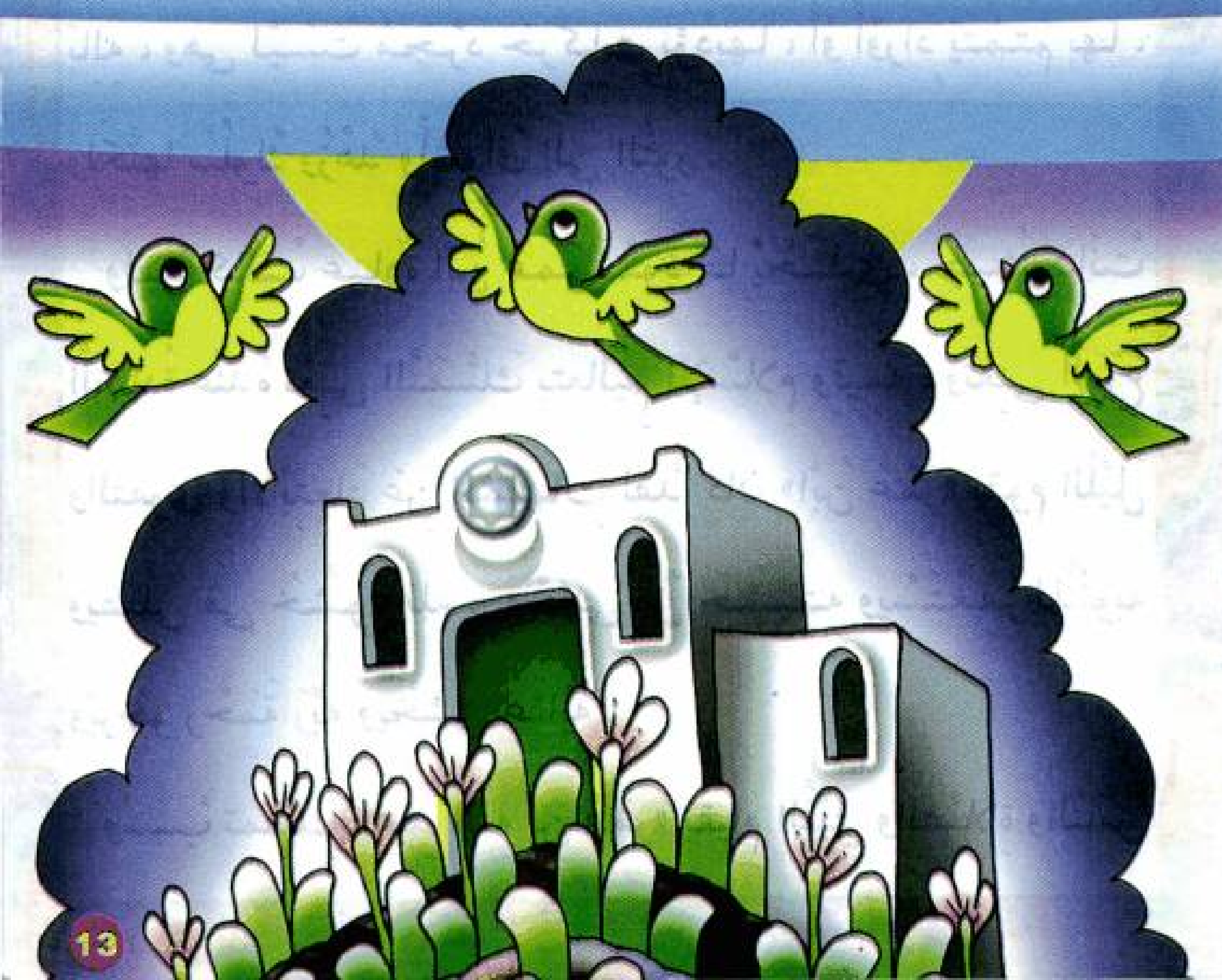
فقالَ عُثْمانُ :

ـ وما تكْرَهُ مِنْ ذلكَ وقدْ كانَ أَبوكَ يَقْضِى ؟

فقال ابْنُ عُمَر :

ـ لقدْ بلَغَنى أَنَّ الْقُضَاةَ ثَلاثَةٌ . .

قاضٍ يَقْضى بِجَهْلٍ فهوَ فِى النَّارِ .



وقاضٍ يقضى بِهَوى . فهو فِى النَّارِ .

وقاضٍ يَجْتَهِدُ ويُصيبُ ، فهو كَفَافٌ ، لاوِزْرَ ، ولا أَجْرَ . .

وإِنى لَسَائِلُكَ باللَّهِ أَنْ تعْفِيَنِى .

واسْتجابَ «عُثْمانُ بنُ عفَّانَ» لِرَغْبَةِ ابنِ عُمَر وأَعْفاهُ منْ مَنْصبِ الْقضاءِ ، برَغْمِ حَاجَتِه الشَّدِيدَةِ لِكَفَاءَتِه .

الْعِبادَةُ هى زَادُ الْمُؤْمِن الَّتى يجدُ فِيها راحَة نَفْسِه وطُمَأْنِينَةَ بَالِهِ ، وهى ليْسَتْ مُجَرَّدَ حَرَكاتٍ يؤَدِّيها ، أَوْ أَوْرادٍ يُتَمْتِمُ بها ، ولكنَّها سُلُوكٌ وزُهْدٌ وأَشْواقٌ إلى النُّورِ .

ولقدْ كانَتْ عبادَةُ ابْنُ عُمَرَ نَمُوذَجًا يُحْتَذَى ، حيثُ كانَتْ الْعبادةُ عِنْدهُ تَعْنِى التَّمَسُّكَ بِتعاليمِ الإسْلامِ وقِيَمِهِ ، وتَعْنِى الْوَرَعَ والتَّقْوَى والابْتِعادَ عَنِ الشُّبُهاتِ لقدْ كان «ابْنُ عُمَرَ» يقومُ اللَّيْل ويصلِّى فى خُشُوعٍ للَّه ، ويَبْكى مِنْ خَشْيَتِهِ ويسْتَغْفِرُ لذُنُوبِه ويرجُو رحْمَةَ ربِّه ويخْشَى عقَابَهُ .

وسبَبُ تمسُّكِ «عبدِ اللَّه بنِ عُمَر» بقيامِ اللَّيْلِ والصَّلاةِ والنَّاسُ

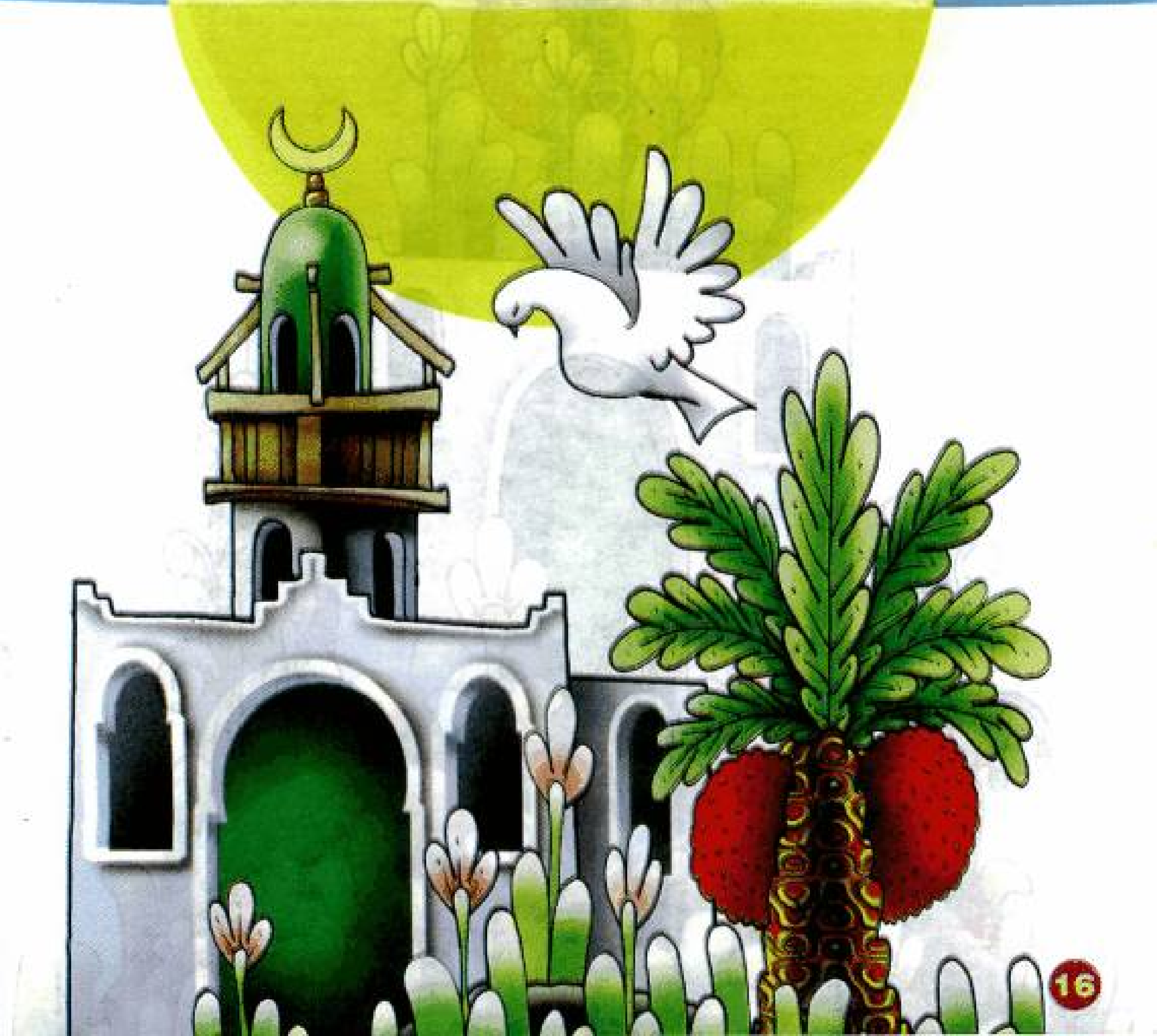


نِيَامٌ ، أَنَّهُ رأَى رؤْيَا على عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، حيْثُ رأى كأنَّ بيَدِه قِطْعَةَ إسْتَبْرَق ، وكأَنَّه لا يُرِيدُ مَكانًا مِنَ الْجَنَّةِ إلا طارَتْ بِه إلَيْه . .

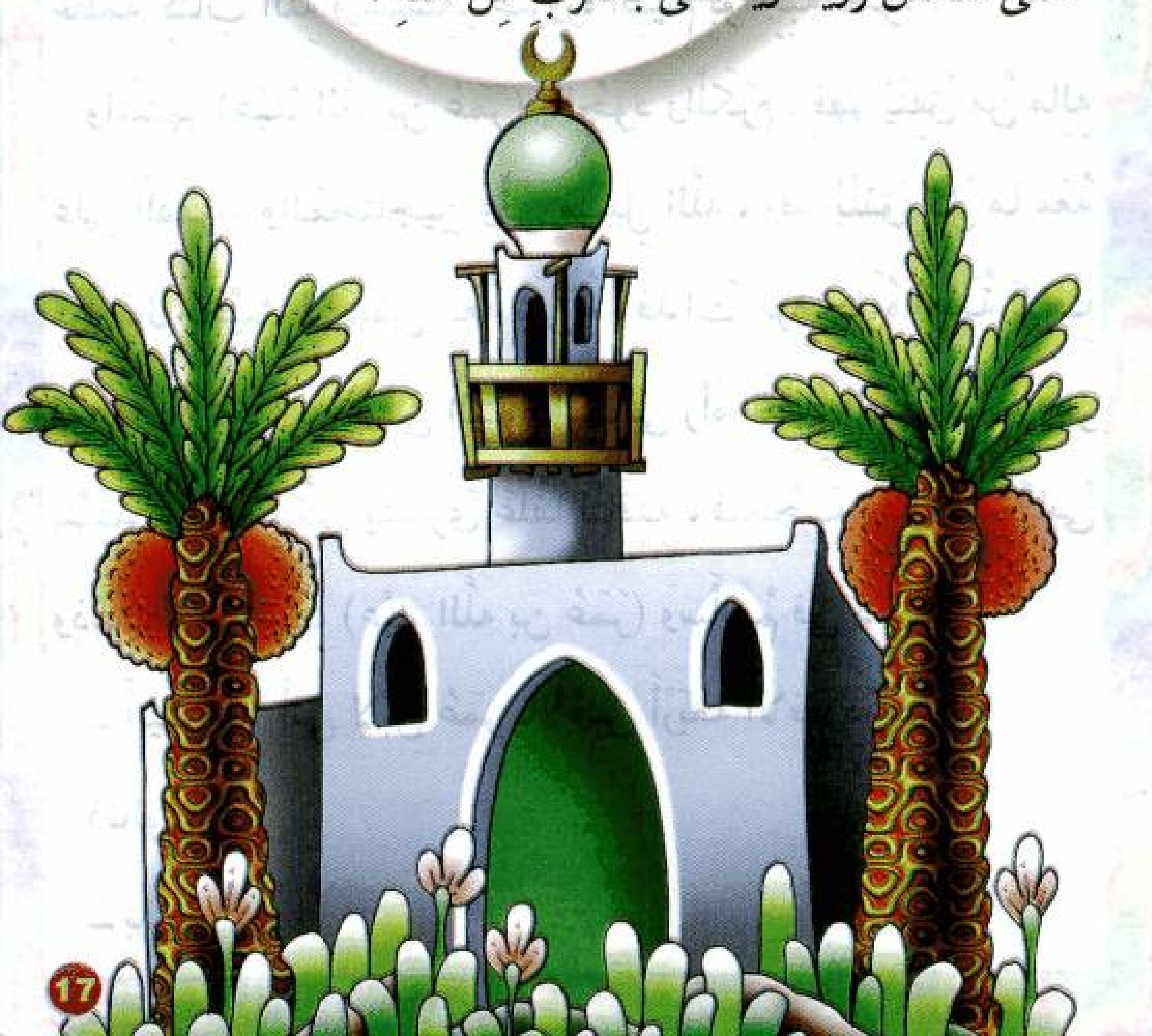
فلمَّا قصَّتِ السَّيِّدةُ حَفْصَةُ أُخْتُهُ ذلكَ على رسُولِ اللَّه ﷺ

قال لها رسُولُ اللَّهِ ﷺ :

ـ نِعم الرَّجُلُ عبْدُ اللَّه ، لوْ كان يُصَلِّى من اللَّيْلِ فيُكْثِرُ .



لقدْ أَدْرك «عبدُ اللَّه بنُ عُمَرَ» منْ كلامِ الرَّسُولِ ﷺ ، أَنَّهُ لِكَىْ ينالَ هذه الْمَكَانَة فى الْجَنَّةِ فعَلَيْه أَنْ يُواظِبَ على الصَّلاةِ وخاصَّةً صلاةِ اللَّيلِ فى أَثْناءِ نِيامِ النَّاسِ ، لأَنَّها دَليلٌ على التَّقْوَى والْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ ، ولذلكَ فقدْ حَرَصَ عبدُ اللَّه بنُ عُمَرَ مُنْذُ هذه اللَّحْظَةِ وحتى آخِرِ يَوْمٍ فى حيَاتِه على صَلاةِ اللَّيْلِ حتى تتَحقَّقَ رُؤْياهُ ويَحْظَى بالْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ .



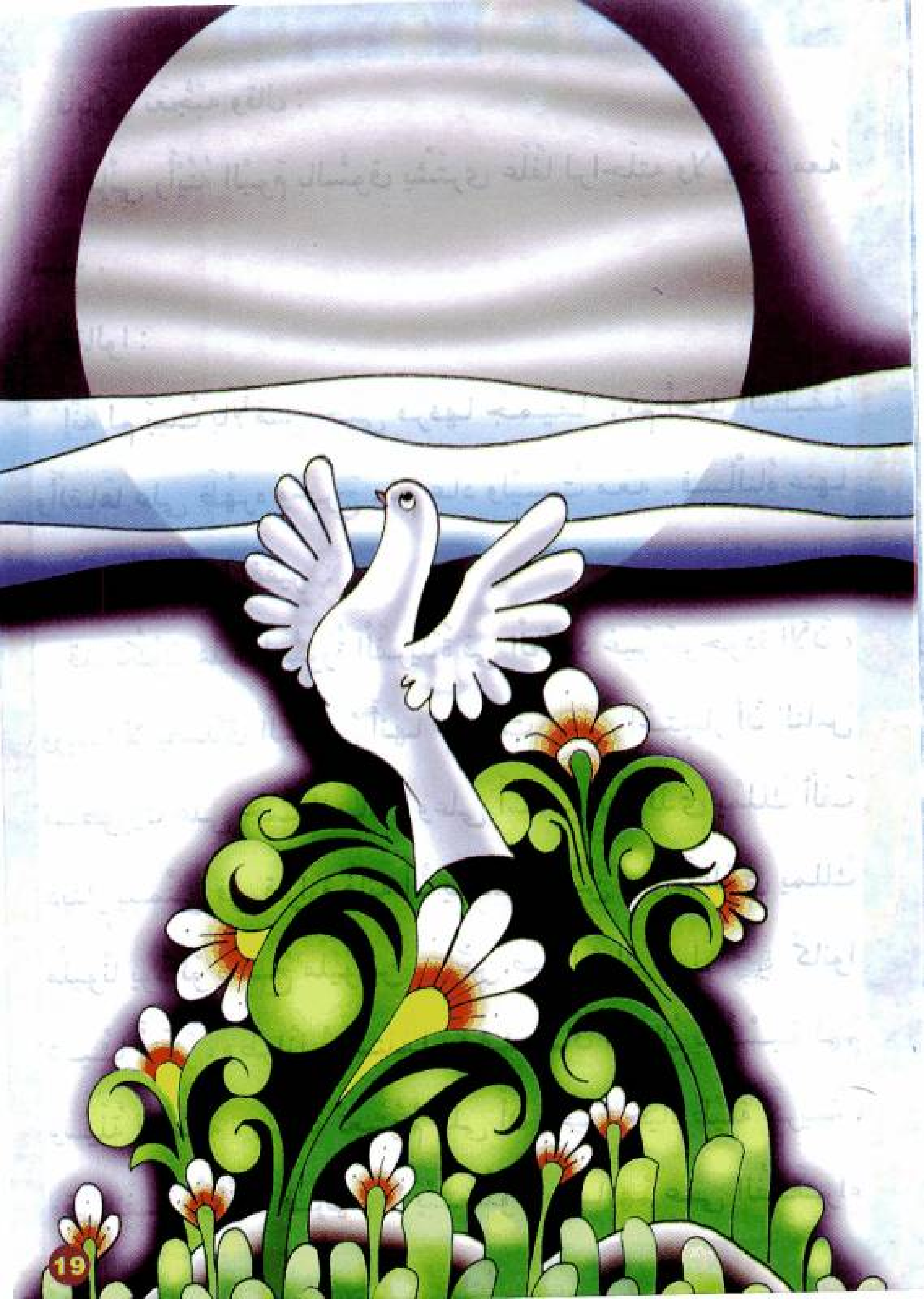
وكان عبدُ اللَّهِ بنُ عُمرَ يبكى عِنْدَ سماعِ الْقُرْآنِ الْكَريمِ ، وبُكاؤُهُ يدُلُّ على رِقَّته وخَشْيَتِه وأَنَّهُ يتَلَقَّى القرآنَ كأَنَّه أُنْزِلَ عليه ، كما أَنَّه يدُلُّ على اسْتِشْعَارِه لِلْمَسْئُوليَّةِ والأمانَةِ الْمُلْقَاةِ على عَاتِقِه ، فاللَّهَ تعالَى يقولُ : «لوْ أَنْزَلْنَا هذا الْقُرْآنَ على جَبَلٍ لرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» ، فالإنْسانُ أَوْلَى مِنَ الْجَمَادِ بأَنْ يَحُسَّ عَظَمَةَ كِتابِ اللَّهِ وَيسْتَشْعِرَ ضَرُورَةَ الْقِيامِ بِواجِبِه نَحْوَهُ .

واشْتَهَرَ (عَبْدُ اللَّه بنُ عُمَرَ) بالْجُودِ والْكَرَمِ ، فهوَ يُنْفِقُ مِنْ مالِهِ على الْفُقَراءِ والمُحْتاجِينَ وفى سبيلِ اللَّه ، وقد يُنْفِقُ كلَّ ما معَهُ مِنْ مالٍ بحَيْثُ لا يَبْقَى معهُ شَيْءٌ ، فذاتَ مَرَّةٍ جاءَهُ أَرْبَعَةُ آلافِ دِرْهَمٍ مِنْ تِجارةٍ ، وفى الْيَوْمِ التالى رآهُ أَحَدُ الصَّحابَةِ وهو يسْتَدِينُ مالاً لِكَىْ يشْتَرِىَ عَلَفًا لِنَاقَتِه ، فتعجَّبَ هذا الصحَّابىُّ وذهبَ لأهْلِ بيْتِ (عبْدِ اللَّه بنِ عُمَرَ) وسأَلَهُمْ فى دَهْشَةٍ :

ـ أَلَيْس قدْ أَتى لابْنِ عُمَر بالأَمْس أَرْبَعَةُ آلافِ دِرْهَمٍ ؟

فقالوُا :

ـ بلَى .



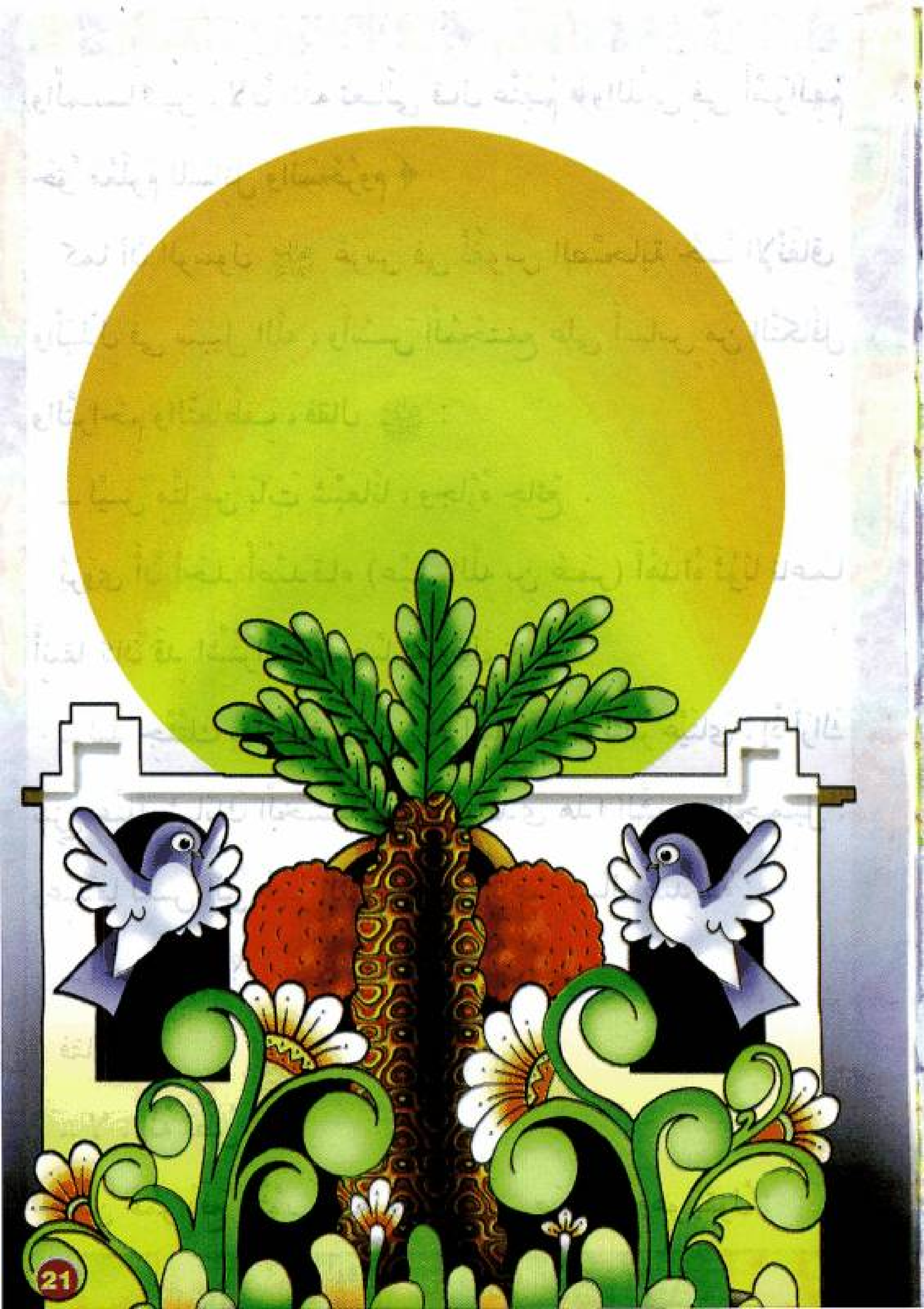
فأَبْدَى تَعَجُّبَه وقال :

ـ فإنِّى رأَيْتُهُ اليَومَ بالسُّوقِ يشْتَرى عَلَفًا لراحِلَتِه ولا يَجِدُ معهُ ثَمَنَهُ .

فقالوا :

إنَّه لم يَبتْ بالأَمْسِ حتَّى فرَّقها جَميعًا ، ثم أَخذَ الْقطِيفَة وأَلْقاهَا على ظَهْرِه وخرجَ ، ثم عادَ ولَيْستْ معَهُ . فسأَلْناهُ عنها فقالَ : إنَّهُ وهَبَها لِفَقيرٍ .

قد تكُونُ هذه الْصُورَةُ الْفَرِيدَةُ فى الْجُودِ غيرَ موجودةٍ الآنَ ، وربَّما لا يصدِّق الْبَعْضُ أَنها حدثَتْ ، على اعْتِبارِ أَنَّ الناسَ مَفطَورونَ على حُبِّ الْمالِ ، وعلى أَسَاسِ أَنَّ الذى يَمْلكُ أَلْفَ دينارٍ يتمنَّى فى قرارَةِ ذَاتِه أَنْ يملِكَ أَلفَيْنِ ، وأَنَّ الذى يملكُ مِلْيونًا يودُّ لوْ يُصبحُ مِلْيُونَيْنِ ، ولكنَّ صحَابةَ الرَّسولِ ﷺ كانوا شَيْئًا أَخرَ ، وطِرازًا مُخْتَلِفًا ، فقد كانَ الْمالُ بالنِّسْبَةِ لهمْ وسيلَةً لا غايَةً ، وسِيلةً تُعينُهُمْ على أَنْ يَحْيَوْا حياةً طيِّبةً كَريمةً ، وفى نفْسِ الْوَقْتِ فإنهمْ لا يَبْخَلُون بمالهمْ على الْفُقَراءِ



والْمسـاكِينِ ، لأنَّ اللَّه تعـالَى قـال عنْهُمْ ﴿والذّين فِى أمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائلِ والْمَحْرُومِ ﴾

كما أنَّ الرسولَ ﷺ غرَسَ فى نُفُوسِ الصَّحابة حُبَّ الإِنْفَاقِ والْبَذْلِ فى سَبيل اللَّهِ ، وأَسَّسَ الْمُجْتَمعَ على أَساسٍ مِنَ التَّكافُلِ والتَّراحُمِ والتَّعاطُفِ ، فقال ﷺ :

ـ ليْسَ مِنَّا مَنْ بَاتَ شَبْعانًا ، وجارُهُ جائعٌ .

يُرْوَى أَنَّ أحَدَ أصْدقاءِ (عبْدِ اللَّهِ بنِ عُمَر) أَهْداهُ ثَوْبًا ناعِمًا أَنيقًا كانَ قَدِ اشْتَرَاهُ خصِّيصًا لهُ وقالَ :

ـ لقد جِئْتُكَ بهذا الثَّوبِ مِنْ خُرَاسَان ، وإِنَّه لَتَقَرُّ عَيْنَاىَ ، إِذْ أَرَاكَ تَنْزِعُ عَنْكَ ثِيابَكَ الْخَشِنَةَ هذه ، وتَرْتَدِى هذا الثَّوبَ الْجميل .

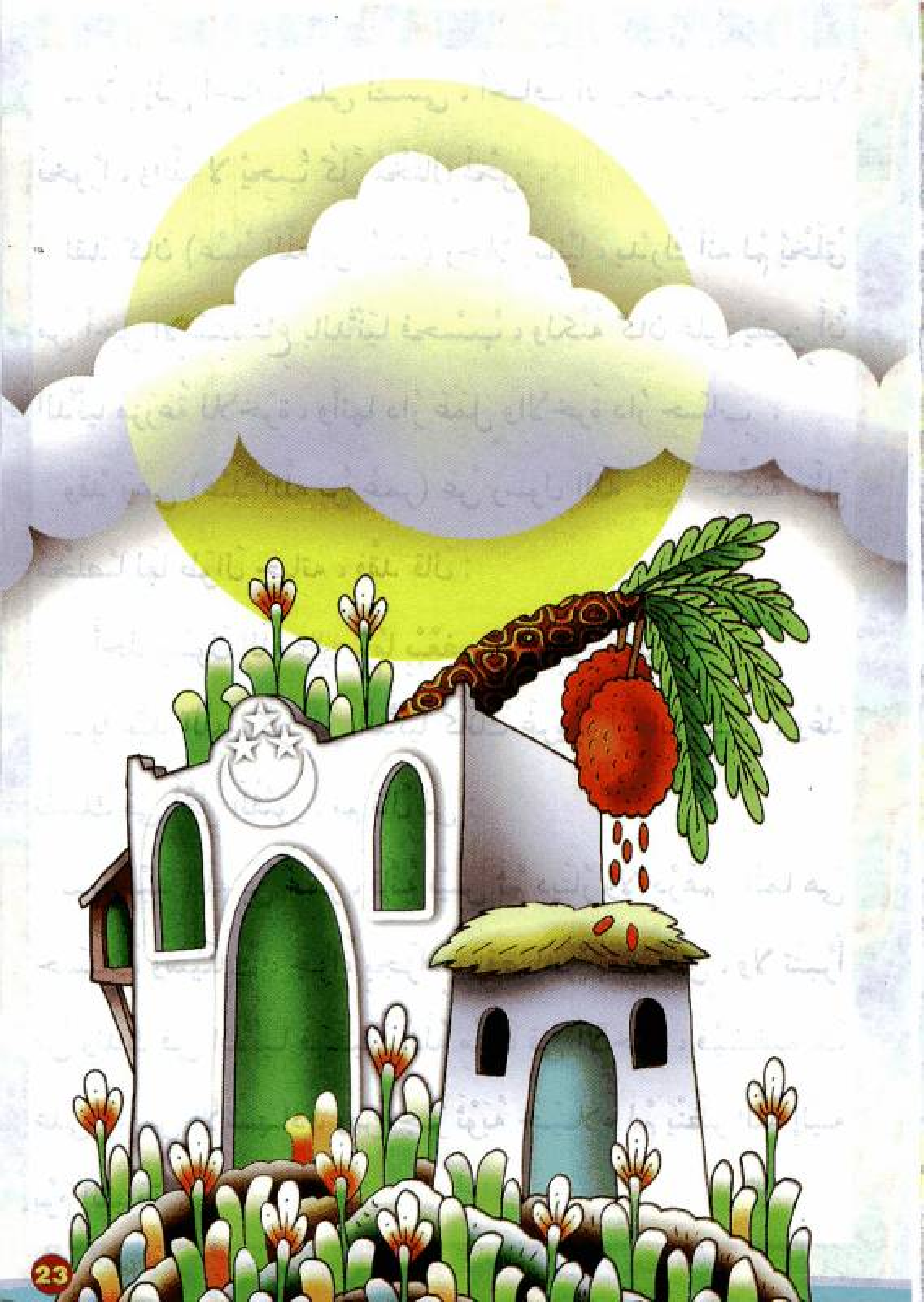
وعِنْدَما لَمَسَ ابْنُ عُمَرَ الثَّوْبَ وجدَهُ ناعِمًا فسأَلَ صدِيقَهُ :

ـ أحرِيرٌ هَذا ؟

فقالَ :

ـ لا ، إِنَّهُ قُطْنٌ .

لكنَّ عُمَرَ دَفَعَ الثَّوْبَ دَفْعًا وأَعَادَهُ إِلَى صَاحِبِهِ وهو يقولُ :



ـ لا ، إِنِّى أَخَافُ على نَفْسِى ، أخافُ أَنْ يَجْعَلَنِى مُخْتالاً فَخُورًا ، واللَّه لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ .

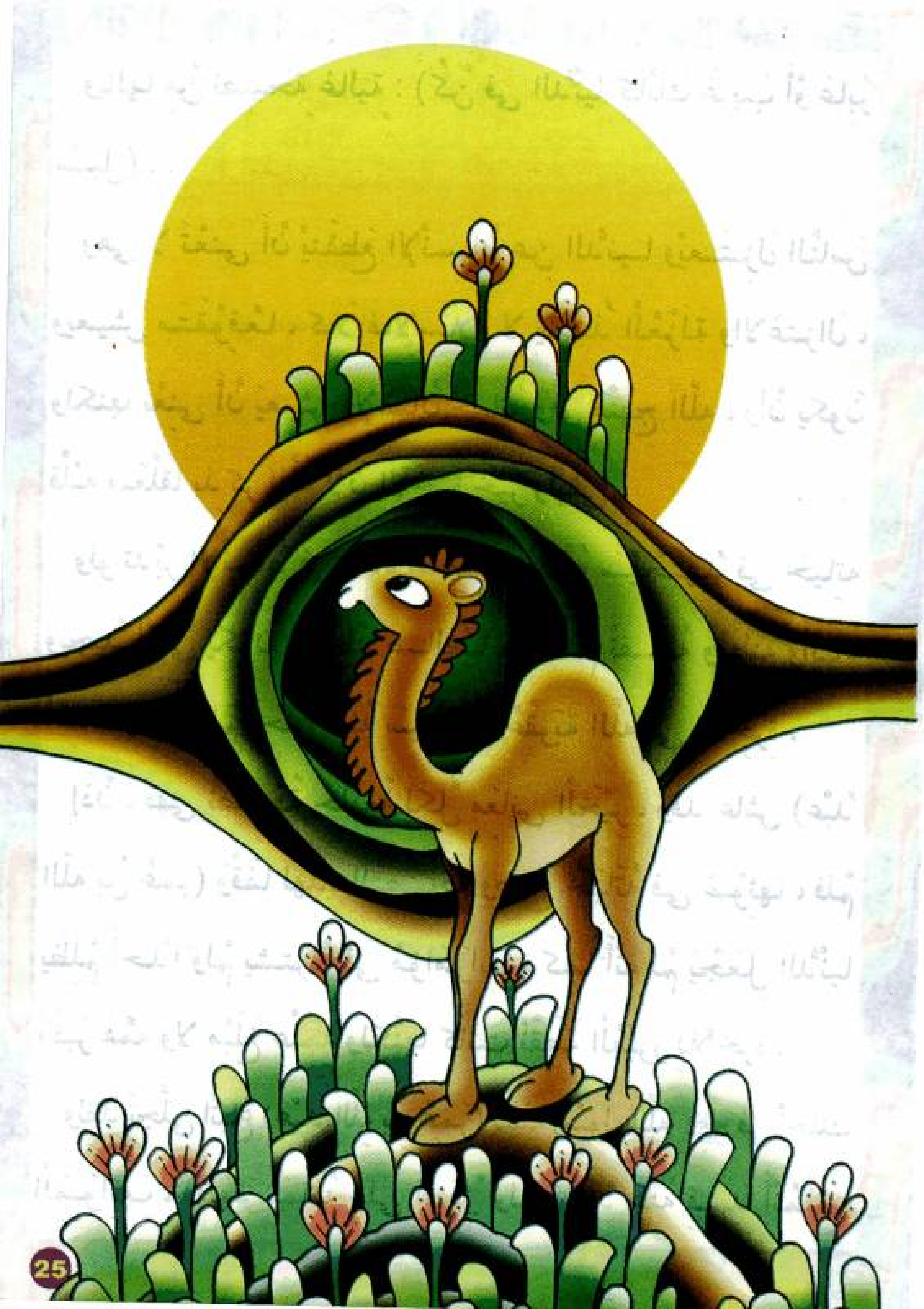
لقدْ كانَ (عبْدُ اللَّهِ بنُ عُمَر) رجُلاً ربَّانِيًا ، يدْرِكُ أَنَّه لمْ يُخْلَقْ منْ أَجلِ الاِسْتِمْتَاعِ بالدُّنْيَا فحسْبُ ، ولكنَّهُ كان على يَقينٍ أَنَّ الدُّنْيا مَزْرَعَةٌ لِلآخِرَةِ ، وأَنها دارُ عَمَلٍ والآخِرة دارُ حِسَابٍ .

وقدْ وَعَى (عبْدُ اللَّه بنُ عُمر) عَنْ رسولِ اللَّه ﷺ حِكْمَةً ظَلَّ مُخْلِصًا لهَا طوَالَ حَيَاته ، فقْد قالَ :

ـ أَخذ رسُولُ اللَّه ﷺ يَوْمًا بِبَعْضِ جَسَدِى وقالَ :

ـ يا عبْدَ اللَّهِ ، كُنْ فى الدُّنْيَا كأَنَّكَ غَرِيبٌ أوْعابِرُ سَبيلٍ ، وعُدَّ نَفْسَكَ فى أَهْلِ الْقُبُورِ . ثم قالَ لى :

ـ يا عبْدَ اللَّهِ بنَ عمَر ، فإِنَّهُ ليْسَ ثَمَّ دينَارٌ ولا دِرْهَمٌ . إِنَّما هِىَ حسَناتٌ وسَيِّئَاتٌ ، جَزَاءٌ بِجَزَاءٍ ، وقِصَاصٌ بِقِصَاصٍ ، ولا تتَبرَّأْ مِنْ وَلَدِكَ فى الدُّنْيا فيَتَبرَّأُ اللَّهُ مِنْكَ فى الآخِرَةِ ، فَيفْضَحُكَ على رُءُوسِ الأَشْهادِ ، ومنْ جرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاَءَ لمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يوْمَ الْقِيامةِ .



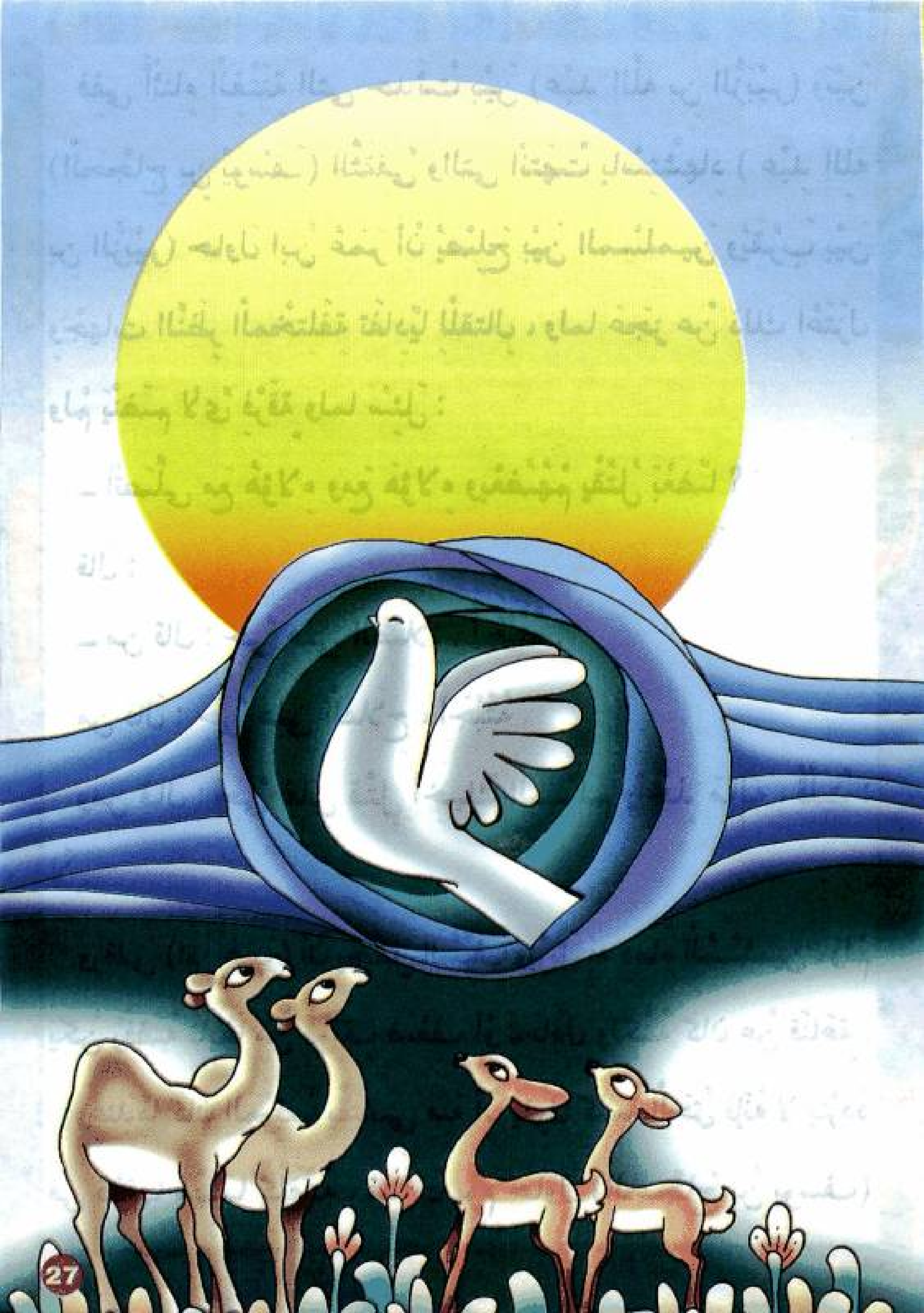
ويالها مِنْ نَصيحَةٍ غاليةٍ : (كُنْ في الدُّنْيا كأنَّكَ غَريبٌ أَوْ عَابِرُ سَبيلٍ) . .

وهى لا تَعْنى أَنْ يَنقَطِعَ الإنْسانُ عنِ الدُّنيا ويعتَزِلَ النَّاسَ ويعيشَ متَقَوْقِعًا ، كلاَّ فالإسلامُ لا يُحَبِّذُ الْعُزْلَةَ والاعْتِزالَ ، ولكنها تَعْنِى أَنْ يَعيشَ الإنسانُ حياتَهُ وَفْقَ مَنْهَجِ اللَّه ، وأنْ يكونَ قلْبُه متَعَلِّقًا بذِكرِ اللَّه لأَنَّ الآخِرةَ خيْرٌ وأبْقَى .

ولو تدبّر الإنْسانُ فى هذه النَّصِيحَةِ فإنَّهُ سَيَجْتَهِدُ فى حَياتِه ويجِدُّ لكىْ يكونَ مُواطنًا صالحًا ، يْخدُمُ نَفْسَهُ ووَطَنَهُ وأَبْناءَ أُمَّتِه ، ولنْ يَظْلِمَ أحَدًا لأَنهُ سَيخْشَى عُقُوبَةَ اللَّه فى الآخِرَةِ .

إِذَنْ ، فهى نصيحَةٌ جامعةٌ لكلِّ معَانى الْخَيْرِ ، وقد عاش (عبْدُ اللَّه بنُ عُمر) وَقْفًا لهذه النَّصيحَةِ وصاغَ حَيَاتَهُ فى ضَوْئِها ، فلمْ يظْلِمْ أَحدًا ولمْ يشتركْ فى مُؤامَرَات ، كما أَنَّه لمْ يَجْعَلِ الدُّنْيا أَكْبَرَ همِّه ولا مَبْلَغَ علْمِه ولكنَّها كانتْ نُقْطَةَ الْعُبُورِ للآخِرَةِ .

ولقدْ تَجلَّى اتِّباعُ (عبْدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ) لسُنَّةِ رَسُولِ اللَّه ﷺ فى أَحْلَكِ الْمَواقِف ، فظهرَ ثبَاتُه على الْحَقِّ ولمْ يَحِدْ عَنْهُ قِيدَ أُنمُلَةٍ .



فَفِى أَثْناءِ الْفِتْنَةِ التى حدثَتْ بيْنَ (عبْدِ اللَّه بنِ الزُّبَيْر) وبَيْنَ (الْحَجَّاجِ بنِ يُوسُفَ) الثَّقفِىِّ والتى انْتهَتْ باسْتِشْهادِ (عبْدِ اللَّه بنِ الزُّبَيْر) حاولَ ابنُ عُمَرَ أَنْ يُصْلِحَ بيْنَ المسْلمينَ ويُقَرِّبَ بيْنَ وِجْهات النَّظَرِ الْمخْتلفَةِ تفَادِيًا لِلْقتالِ ، ولما عَجَز عنْ ذلك اعْتَزَل ولمْ يَنْضَم لأىِّ فِرْقَةٍ ولما سُئِلَ :

ـ أَتُصَلِّى معَ هَؤلاءِ ومعَ هَؤلاءِ وبعْضُهُمْ يقْتُلُ بَعْضًا ؟

قالَ :

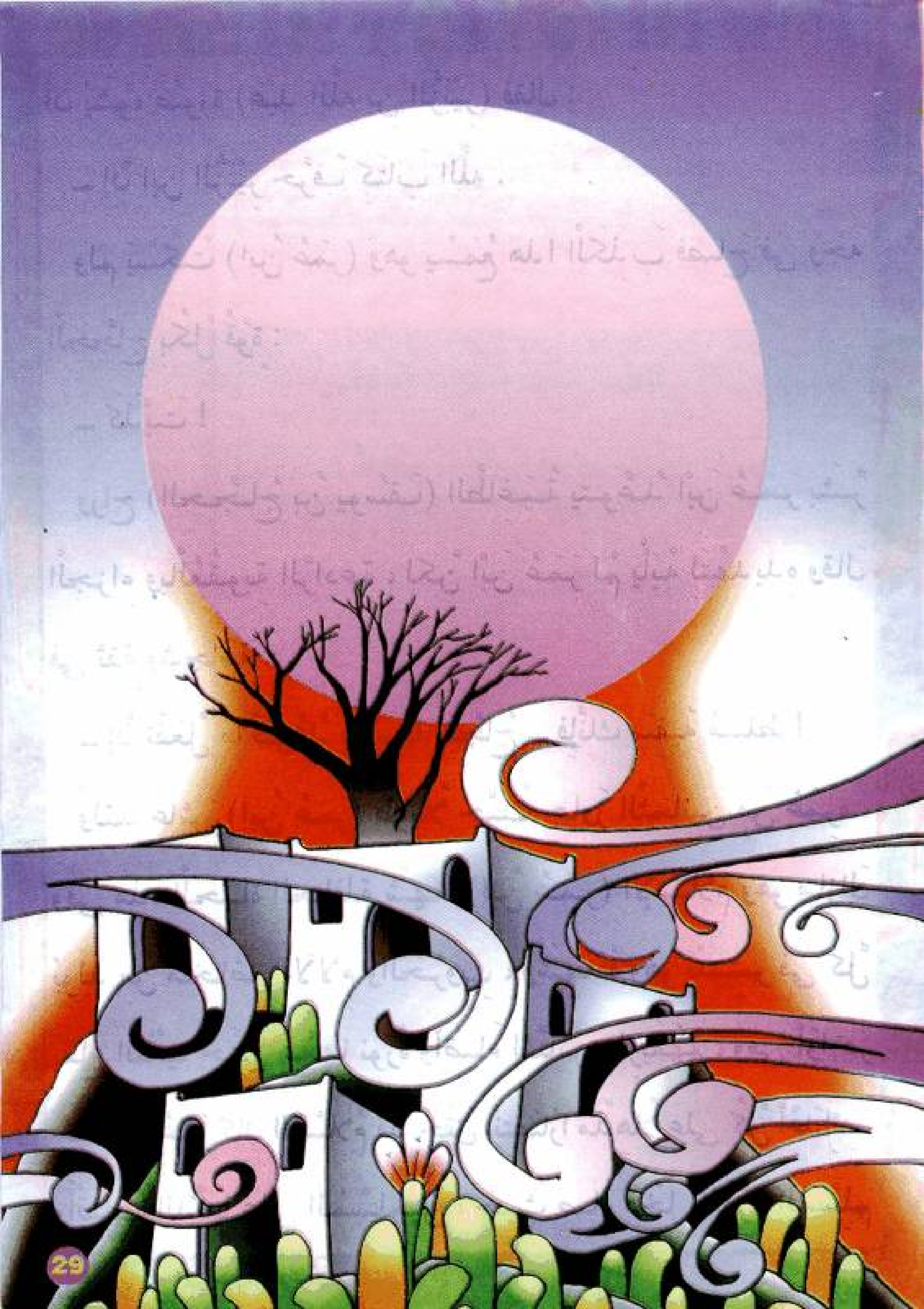
ـ من قالَ : حىَّ على الصَّلاةِ ، أَجَبْتُهُ .

من قالَ : حىَّ على الْفلاحِ ، أَجَبْتُهُ .

ومَن قالَ : حىَّ على قتْلِ أخيكَ الْمسْلمِ وأخْذِ مَالِه ، قُلْتُ : لاَ .

ورفضَ (ابنُ عُمرَ) أنْ يحملِ السَّيْفَ ويُرِيقَ بِه دماءَ الْمُسْلمين ، ولَمْ يكنْ رَفْضُهُ نابِعًا منْ مَوْقِفِ ضَعْفٍ أوْ تَخَاذُلٍ ولكِنَّهُ كان عنْ قَنَاعَةٍ .

وعِندَمَا كان الموْقِفُ يقْتَضِى منْهُ أَنْ يقولَ كلمةَ الْحَقِّ فإِنَّهُ لا يتَرَدَّدُ فى قَوْلها مَهْمَا كلَّفَتْهُ ، فذاتَ يوْمٍ حاولَ (الحجَّاجُ بنُ يوسُف)



أَنْ يُشَوِّهَ صُورَةَ (عَبْدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ) فقال :

ـ إِنَّ ابنَ الزُّبَيْرِ حرَّفَ كِتَابَ اللَّه .

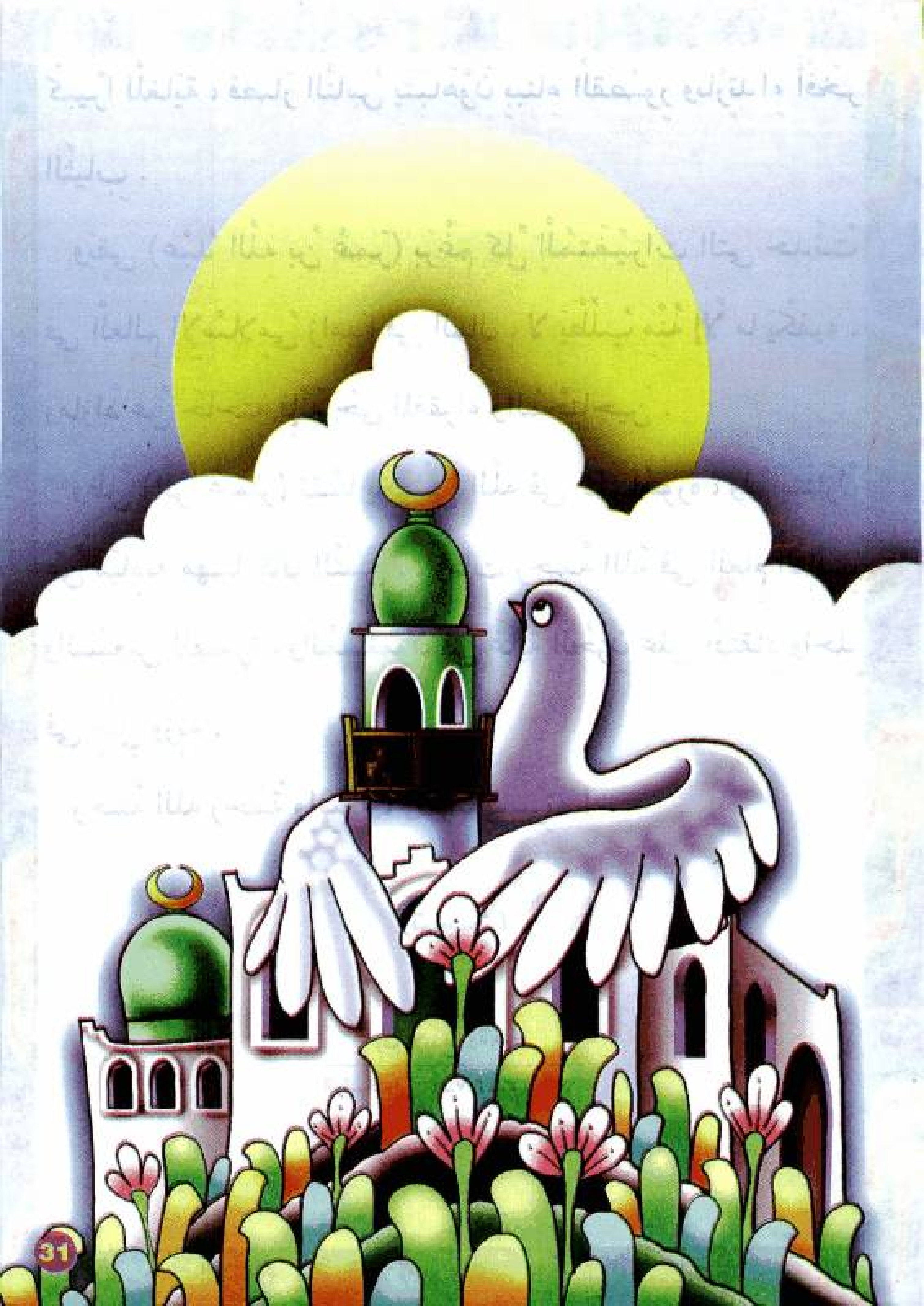
ولم يَسْكُتْ (ابنُ عُمَرَ) وهو يسْمَعُ هذا الْكَذِبَ فصاحَ فى وَجْهِ الْحَجَّاجِ بِكُلِّ قُوَّةٍ :

ـ كَذَبْتَ !

وراح (الحجَّاجُ بنُ يوسُفَ) الطَّاغِيَةُ يتوعَّدُ ابْنَ عُمَرَ بشَرِّ الْجزاءِ وبالْعُقُوبةِ الرَّادعةِ ، لكنَّ ابْنَ عُمَرَ لمْ يأْبَهْ لِتَهْدِيدِهِ وقالَ فى ثِقَةٍ وشجاعَةٍ :

ـ إِنْ تَفْعَلْ ما تَتَوعَّدُ بهِ ـ يا حَجَّاجُ ـ فإِنَّكَ سَفِيهٌ مُسَلَّطٌ !

ولقدْ عاشَ (ابنُ عُمرَ) طويلاً حيْثُ جاوزَ الثْمانينَ منْ عُمْرِهِ ، وفى هذه الْحياةِ الحافلَةِ شَهِدَ (ابنُ عُمَرَ) الإسْلامَ وهو مازالَ يُولَدُ مِنْ مَخاضِ الآلامِ والْحُرُوبِ ، وشَهِدَهُ وهو يَنْتَشِرُ فى كلِّ بقاعِ الدُّنْيا حتَّى عَمَّها نورُهُ وأضاءَ للنَّاسِ طَرِيقَهُمْ ، وفى أَوَاخِرِ حيَاةِ ابْنِ عُمرَ كان الإِسْلامُ قدْ حَقَّقَ انْتِصارًا مُذْهلاً على كُلِّ أعْدَائِه ، وأَقْبلَتِ الدُّنْيا على المُسْلمينَ ، حَيْثُ صارَ دَخْلُ الْفَرْدِ الْمسْلِم



كَبيرًا للْغايَة ، فصارَ النّاسُ يتَباهَوْنَ بِبناءِ الْقصُورِ وبارْتِداءِ أَفْخَرِ الثِّيابِ .

وبَقِىَ (عبْدُ اللَّهِ بنُ عُمرَ) بِرَغْمِ كلِّ الْمُتغَيِّرات التى حدثَتْ فى الْعالمِ الإِسْلامِىِّ زاهِدًا فى الْمال ، لا يَطْلُبُ مِنْهُ إلاَّ ما يَكْفيهِ ، ومازادَ عنْ حَاجَتِهِ فإِنَّهُ حَقٌّ لِلْفقراءِ والمُحْتاجينَ .

وظلَّ (ابنُ عُمَرَ) تَقيًا يخشَى اللَّهَ فى كلِّ أَمُورِه ، ولمْ يتنَازَلْ عَنْ مَبادئِه مَهْمَا كانَ الثَّمَنُ . . وماتَ رحِمَهُ اللَّهُ فى الْعامِ الثَّالثِ والسَّبْعينَ لِلهِجْرَةِ ، والْمُسْلمونَ فى غَايَةِ الْحُزْنِ على افْتِقَادِ واحِدٍ فى مِثْلِ وَزْنِهِ .

رحِمَهُ اللَّه رحَمْةً واسِعَةً ، ونفعَنَا بِسيرَتِه !

(تـمـت)

رقم الإيداع : ٢٠٨٠

الترقيم الدولى : ٤ ـ ٣٠٧ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧